

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله كثير الألفاظ، ومكون الدر تحويه الأصداف، ومحصى عددها في البحار مع اختلاف الأصناف، وجعلها من أحسن حلية للأنام، وسير الجوارى المنشآت في البحر كالأعلام لاكتساب ثمرات معادن البحر الحسان، وفقاً لقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن] فلا يعزب عن علمه القديم حوادث الأعصار، ولا ما اعتنى بجمعه أهل المعرفة بالأخبار، المنزه عن **الطبعة الأولى 1433هـ - 2012م** الجاعل برزخاً بين ملتقى البحرين، ميز بينهما وأحصى عدد الأموال **حقوق الطبع محفوظة للنشر** هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج. **مكتبة الثقافة الدينية** والصلاة **526 شارع** على سيدنا محمد وعلى آله صدور العرفان وعلى **25936277 / فاكس: 25922620** أصحاب **@hotmail.com@alshalefa_aldinayat** في العصور الخوال، وما جلبت الدرارى من جزيرة أوال، وما اقترنت الزهرة بالمريخ، وما شرع

أخبارى في فن التاريخ. بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
أما بعد، ، إدارة الشئون الفنية

النبهاني، محمد بن خليفة بن محمد بن موسى، 1950-000، العلامة الفاضل
التحفة النبّهانية في تاريخ الجزيرة العربية / تأليف: محمد خليفة بن محمد
الشيخ خليفة بن محمد بن موسى آل نبهان، ثم الطائي نسباً، المكي مولداً
ط 1 القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2012، 258 ص، مالكي، منهجاً.

تتمك : 978-977-341-565-9

1- شبة الجزيرة العربية - تاريخ
أبـه فلا يشـر الله لى فى سياحتى الوصول إلى جزيرة أول فى غرة عام
أ- العنوان

(١٣٣٢) وحصل لى الامتزاز بحكامها أولى الفضل والمجد الرفيعين فطلب
منى بض فضلائهم أن أجعل تاريخاً يحتوى على ذكر حكامها الحاليين

ديوى: 953,1

وملوكها الأقدمين. ومن استولى عليها فى تقادم السنين، ولنذكر فيه من ذكر فيها أو وصل إليها من الصحابة والتابعين، ونحرر ما وقع فيها من الملاحم والمعارك زمن المشايخ الخليفين، ونرشحه بذكر بعض حروب المتقدمين، ونطرزه بتعريف أنساب من بالبحرين من العرب الموجودين، ونستطرد فيه بتوضيح من ذكر استطراداً من الدول والأمراء الماضين، ونحليه بنذ من تاريخ أراء زيرة العرب (كآل رشيد وآل سعود وآل صباح) ومن ضاهاهم.

فأجبتهم لذلك بعد التكرار والالتماس راجياً من الله العون والتوفيق وسميته (النبة اللطيفة فى الحكام من آل خليفة) وتم تبييضه فى (١٢ ربيع أول عام ١٣٣٢) فتوجهت به نحو العراق لأطبعه به. فأرست باخرتنا فى ميناء البصرة فى أواخر شعبان، ثم ركبت الباخرة (حميدية) النهرية فأرست بمرفأ بغداد (فى ٢ رمضان) المبارك من العام المذكور فقابلنى بها بصدر رحيب صديقى الأعز الأديب (أحمد جودت بك ابن على كاظم بك) الموصلى صاحب جريدة (النير) الغراء البصرية. فبعد الاستقرار اقترح على بأن أجعل هذا التاريخ عاماً لجزيرة العرب كلها بقدر المجهود، وأن أحلى جيده برسم الحكام والسلاطين، فأجبتة لذلك مستعيناً بالله على إتمام هذا المشروع فأبدلت اسمه الأول، وسميت الكتاب كله (التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية) ولضيق الوقت عجلت بطبع القسم المختص بالبحرين بخطبة عصرية.

ولما شبت نار الحرب العظمى عجلت العودة إلى البصرة قبل إتمام طبع القسم المذكور. فلما وصلت البصرة وجدت الحكومة العثمانية قد أمرت بسد وجه (الفاو) مدخل البصرة من جهة البحر (فى ١٠ ذى الحجة) من العام المذكور ولم يمكننى مبارحتها إلى البحرين حتى سقطت البصرة فى غرة محرم

سنة (١٣٣٣) وفي ٢٧ ربيع ثانى أخذت أسيراً وسلبت منى جميع كتبى ومؤلفاتى وفى ضمنها مسودة التاريخ المذكور.

فبلغ حاكم البحرين سمو الشيخ عيسى بن على آل خليفة ما جرى على من المضايقات فتذاكر مع رئيس الخليج فى شأنى. فبعد (١٣) شهراً بزغت على بشائى السرور (فى جماد أوى عام ١٣٣٤) بورود خط من الشيخ عيسى إلى حاكم البصرة يستشفعه فى إطلاق سراحى لما بيننا من العلاقة. وبالفعل بلغتنى دائرة الشرطة ورود التشفع وأحضرت أمام رئيسها وتلى على خط حاكم البحرين سمو الشيخ عيسى، لا زال لطفه شاملاً، وفضله هاطلاً، فبقيت فى البصرة مطلق السراح تحت المراقبة السرية إلى أول الهدنة عام (١٣٣٧) حيث أخذت تمام حريتى.

فمن أجل ذا لم أتمكن من جمع التاريخ مرة ثانية على حسب ما يرام لما نابنى من مصائب الدهر وعوارض الأيام، وإنما لكثرة طلب الأصحاب منى الجمع له مرة ثانية تناولت منه بهمة دون الهمة الأولى. ومع ذلك فأرجو الله أن يحسن الأحوال، ويروق خاطر والبال، فنطبعه إن شاء الله مكماً على أحسن ما يرام، ولكن لما نفذت الطبعة الأولى لعكوف القراء عليها ألح على الأدباء بطبعه مرة ثانية^(١)، فرتبته على نسق غير النسق الأول مع زيادات مفيدة ورسوم عديدة. وأرجو من القراء الكرام أن يرشدونى على مواضع الخلل لأستدركه إن شاء الله فى الطبعة الثالثة، عند إتمام جميع تاريخ جزيرة

(١) ولكثرة رواجه قد ترجمت الطبعة الأولى باللغة الإنجليزية والذى ترجمها (السيد حسن صديق) رئيس الشرطة فى البحرين سابقاً بأمر من الحكومة البريطانية وأعطته فى مقابلة ذلك مكافأة عظيمة.

العرب، وألتمس من أهلها أن يقدموا لى رسوم حكاهم وأمرائهم الحاضرين والغابرين، وأن يمدونى بإسعافاتهم لتحصل للجميع الفائدة المنشودة، وعنواننا هو (باسمنا إلى البصرة فى محلة القبلة) وأرجو أن لا تثبط هممة الأدباء إذا طالت المدة فإننى إن شاء الله الرحمن الرحيم ما دمت فى قيد الحياة أجدد طبعه إن شاء الله تعالى عندما انحصل على فائدة جديدة.

صورة الخطبة المدرجة فى الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمدك اللهم ونستعينك على صدق الرواية وحسن الإبانة، ونصلى
ونسلم على رسولك البشير النذير سيدنا محمد وعلى كافة الأنبياء والمرسلين
وعلى الصحابة والقراة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد، ، ،

فلو لم يكن فى التاريخ من الفوائد إلا أنه محل العبرة ومقياس السياسة
لاستحق الدرجة القصوى من البحث والاهتمام، ولقد نصوا على أن تاريخ
الأمة هو الدعامة الأولى التى يبنى عليها رقيها ومجدها. ويحسب محافظتها
عليه والاعتبار بوقائعه والادكار بمذاكرته نال ما تستحقه من عز أو انحطاط،
ولما كان تاريخ أغلب إمارات جزيرة العرب ولا سيما (البحرين) قد يقى
مجهولاً حتى من أهلها أنفسهم، وكنت قد طفت أغلب تلك البقاع وتشرفت
بمعرفة أمرائها الفخام وسكانها الكرام. وصرت كأحد أبنائها أنفت من أن تبقى
عقود حوادثها عاطلة من محاسن الترصيف والتدوين .

وصممت على نشر مجمل تاريخها القديم ومفصل تاريخها الحديث،
غير أن عدم وجود المؤرخين والتواريخ فيها كاد أن يجعل مطلبنا مستحيلًا،
لولا أن الرغبة التى حدث بنا كانت قد تأصلت وأخذت نصيها من العزم
والاهتمام، فنهضنا نبحت فى القماطر، ونستنطق مبعثر الأوراق والدفاتر،

ونستقرى صحيح الروايات، وأوثق الروات، حتى أحطنا بجمل الوقائع وأغلب الحوادث. وكان من جملة الوثائق التي رجعنا إليها وأخذنا عنها سجلات دار الإمارة المخزونة في دار الأسفار. وإن أنس لا أنس ما تفضل به رب السيف والقلم سمو العلامة الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة، وحضره بدر العلماء وفخر التجار فضية الشيخ عبد الله بن سعد بن شمالان^(١) من المساعدة والإرشاد، حيث أوقاني على جملة صالحة من الحوادث وأمداني بعدة وثائق تاريخية مهمة، فحق علينا شكرهما وإذاعة فضلهما.

هذا وقد اتخذنا من دراسة أحوال البلاد والوقوف على شئون أهلها وعوائدهم وما يمكن وما يستحيل بالنسبة لهم، مقياساً نسبر به غور الوقائع ونميز به الجيد من الرديء والصحيح من السقيم. فجاء والله الحمد على قدر الطاقة سليماً من علل التحريف خالياً من شوائب الضعف والمبالغة. ومع ذلك فإننا نربأ بأنفسنا من ادعا العصمة من الزلل والخطأ، وجلُّ ما نرجوه من أفاضل الكتاب الغيورين، أن يمدونا بآرائهم ويرشدونا إلى مواطن الضعف والخلل، لنستدركه في الطبعة الثانية التي عزمنا مستعينين بالله على أن تكون أغزر مادة وأكثر تفصيلاً، والله المسئول أن يوفقنا لإتمام مشروعنا وهو بالإجابة جدير . . . آمين

محمد خليفة

النبهاني

(١) قد توفي ابن شمالان في ١٥ ربيع ثاني عام ١٣٣٦ هـ اهـ مؤلف.

أتحط قدري الحادثات وهمتي	من دونها المريخ والجوزاءُ
صبراً على كيد الزمان فإنما	يبدو الصباح وتنجلي الظلماءُ
أنا والمعالي عاشقان وطالما	وعد الحبيب فعاقه الرقباءُ
لو كانت الأقدار يوماً ساعدت	مثلى لخافت سطوتى الخلفاءُ
وأتى الزمان مسالماً فصروفه	وبنوه عندي والعبيد سواءُ



المؤلف الشيخ محمد ابن العلامة الشيخ خليفة النبهاني
وأحمد جودت بيك بن علي كاظم بيك صاحب جريدة المنير الغراء البصرية
أخذ رسمها بالبصرة سنة ١٣٣١

الحالة الطبيعية

الموقع والحدود:

البحرين: اسم أطلقه العرب القدماء على مجموع البلاد الواقعة على ريف خليج البصرة الممتد منها إلى حدود عمان. وكانت قصبته مدينة (هجر) أى الإحساء، ثم خص بالبلاد الواقعة على الخليج المذكور وبين الدرجة (٢٥ و ٢٩) من العرض الشمالى وعلى هذا فيكون طرفاها قطر والكويت، فدخل فى ضمنها شبه الجزيرة الكبيرة التى هى قطر مع الجزائر التى تقرب منها، ومن ثم دعوا البحرين الحالية (جزيرة البحرين) إضافة للبلاد المذكورة، ثم تنوسى الاصطلاحان واختص اسم البحرين بالجزيرة المسماة به الآن.

وكانت قديماً تسمى (أوالا) باسم صنم أبناء وائل^(١) لأنهم كانوا يسكنونها مع عبد القيس وقد نالت البحرين قديماً وحديثاً شهرة عظيمة لا سيما لؤلؤها المعروف بالحسن والجودة، فيقصده التجار من الآفاق.

والبحرين هى على مسافة (١٢) ميلا من بر طهران^(٢)، وفى الدرجة (٢٦) و (٣٠) دقيقة من العرض الشمالى. و (١٠) درجات و (٣٧) دقيقة من

(١) قال فى معجم البلدان (أوال) بالضم ويروى بالفتح جزيرة يحيط بها البحر بناحية البحرين فيها نخل كثير وليمون وعنب وبساتين وقال تميم بن أبى مقبل:
عمد الحداة بها لعارض قرية فكأنها سفن بسيف أوال
اهـ مؤلف.

(٢) طهران كسحبان، ساحل الحسا، وكانت قصبته قديماً مشهورة بصنع الثياب الظهرانية المنسوبة إليها. اهـ مؤلف.

الطول الشرقي باعتبار المبدأ مكة المشرفة^(١)، وتدوير مساحتها مع جزيرة المحرق نحو (٨٠) ميلا، ومساحة طول جزيرة المنامة شمالاً وجنوباً (٢٥) ميلا وعرضها نحو (٩) أميال وطول جزيرة المحرق نحو (٥) أميال وعرضها نحو ميلين^(٢).

وكلاهما مستويا الأطراف وفي وسطهما بعض مرتفعات لا سيما أرض المنامة إلى الرفاع. فالصَّخِر، فجو، وتحيط بالكل أرضفة رملية ينحصر عنها الماء تماماً وقت الجزر.

الجو:

جوها شديد الحرارة يكاد يكون محرقاً زمن الصيف. فلذا يضطرون إلى مبارحة لمدن زمن الصيف والنزول قرب ماء العيون العذبة التي عند سواحل البحر.

حاصلاتها:

حاصلات البحرين اللؤلؤ، وجل شغلهم ومعاشهم هو الغوص في البحر لإخراج اللؤلؤ منه. ويتبدى زمن إخراجهم في الربيع من أول برج الثور

(١) قبلة أهل البحرين مغيب التير. اهـ مؤلف.

(٢) وقد نظم مقادير المساحات ابن الحاجب المتوفى سنة (٦٤٦) فقال:

إن البريد من الفراسخ أربع	ولفرسخ فثلاث أميال ضعوا
والميل ألف أى من الباعات قل	والباع أربع أذرع فتتبعوا
ثم الذراع من الأصابع أربع	من بعدها العشرون ثم الأصبع
ست شعيرات فظهر شعيرة	منها إلى بطنٍ لأخرى توضع
ثم الشعيرة ست شعرات فقط	من ذيل بغلٍ ليس عن ذا يرجع

اهـ مؤلف.

إلى نصف برج الميزان. وقد أجمع الجوهريون على أن لؤلؤ البحرين يفوق سائر اللآلئ بهجة ونفاسة. وقد قدر ثمن ما يخرج منها سنوياً من اللؤلؤ بقيمة (٣٠) ألف ألف روبية، وهذا جدول ذكرنا فيه قيمة ما يخرج من غيرها سنوياً لتعرف الفرق بين الجميع:

ألف	مليون	
عدد	عدد	
٠٠	٣٠	البحرين
٠٠	١١	قطر
٠٠	٠٤	القطيف
٦٠٠	٠٠	الجبيل موضع بين القطيف والكويت
٠٠	٠٨	الكويت
٠٠	١٥	عمان جميعه
٠٠	٠١	بلدة لنجة
٤٠٠	٠٠	جزية قيس
٠٠	٧٠	الجميع سبعون مليوناً

وهذا التقدير بالحالة الوسطى وقد يزيد وينقص حسب الأتوار، وقد أحس بعض العارفين بوقوع تناقص فى اللؤلؤ، وعلل ذلك بإرسال الصدف بعد فلقه إلى أوروبا؛ لأنه قد يلاصق الصدفة الواحدة مائة من صغارها، فإذا أُلقيت الصدفة بعد فلقها فى البحر نَمَت الصغار وعاشت وانفصلت،

وبالعكس ينتج قلة المحصول؛ لأنهم إذا نقلوا الكبار وأماتوا الصغار فمن أين يحصل التناج.

ويوجد فى أماكن مغاصات اللؤلؤ (شجر اليسر الأسود) ولكن لم يكن لهم به اعتناء، على أنهم لو بذلوا همهم فى إخراجهم وتسفيره إلى الحجاز (لتصنع منه السبح) لزادت محصولاتهم واتسعت معيشتهم.

**فصل
في صفة
الغوص للؤلؤ**

أوردت صفة الغوص وإن كانت معلومة ، لأني اطلعت على رحلة ابن بطوطة فرأيته وصف مغاص الجواهر بخلاف ما هو مشاهد اليوم (والكمال لله).

تنبيه:

ذكرنا الأسماء بحسب ما اصطلاح عليها أرباب الصناعة منهم ، فقول أن سفنهم اليوم نوعان (سنبوق ، وجالبوت) وكان في السابق لهم سفن متنوعة يسمونها (بغلة ، بتيل ، بوم ، بقارة) وهذه قل استعملها اليوم . واكتفوا بالنوعين المذكورين ويعبرون عن مجموع السفن (بالخشب) وعددها يتراوح بين (٣ و ٤ آلاف سفينة) ، ويعبرون عن ابتداء الغص (بالركبة) وعن الانتهاء (بالقفال) ويسمون اللؤلؤ (قماشاً) والجواهر (دانات) فإذا مضى برج من فصل الربيع يخرجون في سفنهم إلى البحر كل سفينة بحسب ما تسع من الغائصين تحت رياسة (النوخذة) ويسمون الغائص (غيصاً) والذي يجر حبال الغائص (سيباً) والمساعد لهما (رظيفا) والذي يكون أصغر من الرظيف يسمى (تبابا) . وتخرج جميع لسفن إلى البحر في مواضع مختلفة العمق ولها أسماء معروفة بينهم بعدها عن البر نحو (٣٠) ميلا وعمق المغاصات يتراوح بين (٣ إلى ١٤) باعا . وأما مغاصات بحر عمان فيبلغ عمقها نحو ٢٠ باعا ، ولكن الغائصين بها قليلون لمشقة عمق البحر .

وأما هيئة الغوص:

فهو أن الشخص ينزل من السفينة فيقف على وجه البحر طافياً على الماء إلى أن يجعل في أنفه شيئاً مثل الملقاط يسمونه (فطاماً) وهو مصنوع من قرون

الوعل أو من «الذبل» أى عظم السلحفاة ليمنع التنفس ما دام غائصاً فإذا خرج من البحر جذبه من أنفه بسرعة وتنفس . وعند نزوله إلى قعر البحر يجعل فى إحدى رجله رصاصة أو حجراً وزنه من «١٢ إلى ١٤» رطلاً حسب مطلوب الغائص لتسرع به فى النزول إلى قعر البحر، فإذا وصل نزعها من رجله فيسحبها «السَّيب» الذى فى فى السفينة لأن بها حبلاً متصلاً بالسفينة يسمى «زَيْباً» وتعلق الرصاصة بطرف السفينة فى المقداف .

ويصحب الغائص معه زنبلاً معمولاً من حبال الكنبار مشبكاً على صفة الغربال إلا أن خروقه واسعة جداً يسمونه «ديبناً» وبه عروة يجعلها الغائص فى عنقه تسمى (علقة) ومربوط بها حبل يسمى (جداً) متصلاً ذلك الحبل بالسفينة فيصير مجموع الحبلين فى يد السَّيب ويجعل الغائص فى الغالب فى أصابع يده جلدأ يسمى (خَبْطاً) فيقتلع من الأرض الصدف فيجعله فى (الدين) ويمشى على يديه فى قعر البحر ورجلاه مرفوعتان إلى العلو بطبيعة الماء .

وحبل الدين بين إبهامى رجله فإذا امتلأ الدين صدفاً أو تضايق نفس الغائص جذب الحبل برجله بقوة فيسحبه السيب وهو ماسك فى حبل الدين (وإذا جذب الغائص الحبل برجله وهو فى البحر قالوا نَبْر) فإذا ارتفع على وجه الماء أخرج الفِطام من أنفه وتنفس بمقدار ما يأخذ السيب الدين ويفرغه فى وسط السفينة، ثم يعطيه إياه فيمسكه الغائص بإحدى رجله ويجعل فى الأخرى حلقة الرصاصة ويجعل الفِطام فى أنفه ويضع كفيه على وجهه، ويفك يده من السفينة فتسير به الرصاصة إلى قعر البحر . ويستقيم الغائص تحت الماء إلى نحو عشر دقائق . وما قيل من أنه يستقيم نحو ساعة فلا صحة

له : ويسمون المرة الواحدة من النزول إلى البحر والصعود منه (تَبَّة) وأيضاً إذا وصل الغائص قعر البحر فتح عينيه ليلتقط الصدف ويعرف ربعه ويتكلمون مع بعضهم فى الماء (بالمغمغة) وما قيل من أنهم يجعلون على وجوههم وقاية سوى ما ذكرناه من الفطام فى الأنف فغير صحيح . ولا يزالون يغوصون إلى أن يكتفوا أو تغرب الشمس فإذا اكتفوا قبل الغروب شرعوا يفلقون الصدف ويسمونه محاراً^(١) ويخرجون ما يجدونه فى الصدف من اللؤلؤ إلى الغروب ثم يستريحون فإذا أصبحوا فلقوا الباقي من الصدف . وبعد الفراغ يشرعون فى الغوص وهكذا إلى أن يخلص زادهم أو ماؤهم فيأتون البلد ويتزودون منها بمقدار ما يكفيهم نحو شهر وهكذا إلى أن ينتهى زمن الصيف فيرجعون كلهم فى يوم واحد يعينه لهم الحاكم ومن تأخر يعاقب ، فإن أصابهم فى مدة الغوص ريح عاصف قلعوا من أماكن الغوص وتقربوا إلى البر بين الشعاب فى مواضع يسمونها (الفَشْت) إلى أن يهدأ الريح ثم يعودون لمحل فوصهم ويسمونه (هيرا) .

ويجعلون جميع ما يتحصلون عليه من اللؤلؤ عند النوخة وهو يتولى بيعه ويأخذ من جميعه الخمس ثم يقسم الباقي عليهم بعد أن يخرج منه قيمة ما أكلوه من الطعام زمن الغوص . فيعطى الغايص (٦٠) فى المائة . والسيب (٤٠) فى المائة . والرضيف (٢٠) فى المائة . أى أن كل وظيفين يعد عن سيب واحد . وأما التباب فليس له شىء سوى فائدة التمرين على الغوص وما أكله فى بطنه فقط .

(١) المحار فى اللغة اسم للحيوان الذى بي الصدفتين فكأنهم جعلوه من باب تسمية المحل باسم الحال اهـ . مؤلف .

تتمة للغوص

وهو أن أهل البحرين إذا أقبل فصل الربيع يظهرون صغارهم إلى ساحل البحر فى عمق ذراع فأكثر ليستلقطوا ما يجدونه من الصدف فى كل يوم ويسمون هذه الهيئة (المجنّى) فإن أبحروا وغابوا عن أهلهم بالسفن نحو يومين يسمونها (العزّاب) لعزوبهم عن البلدة أى بعدهم عنها. فإن استعدوا بسفنهم وأبحروا بها على صفة الغوص وغابوا نحو أسبوعين يسمونها (خانجية).

فإذا مضى شطر من برج الثور تهيئوا للغوص العام وخرجوا فى اليوم الذى يعينه لهم الحاكم؟

فإن أحب أحد أن يجعل ما يخرج من الصدف على حدة ثم يبيعه بنفسه ويعطى من ثمنه الخمس للنوخدة وقيمة الزاد الذى أكله فيسمونه (عزّالاً). فإذا دخل برج الميزان ينتهى الغوص العام فيأتون جميعاً إلى البلدة ويبيع النوخدة ما عندهم من اللؤلؤ ويتحاسبون مع (الجزوى) أى مع أهل هيئة الغائصين.

ثم يوجد منهم بعض أفراد يرجعون إلى الغوص مرة ثانية اختيارياً ويكابدون مشقة البرد نحو شهر فيسمونهم (ردّاده). ويوجد أيضاً بعض أفراد من تجار العرب يخرجون بسفنهم إلى أماكن الغوص فيشترون من النواخذة بعض الجواهر بالنقود وربما أعطوهم بدل القيمة تماً أو رزاً وهو أحسن للنوخدة من مشقة الذهاب إلى البلدة للتزود منها فيضيع عليه الوقت نحو أسبوع فهؤلاء التجار يقال لهم (طواویش) وهم يجمعون اللؤلؤ ويوبونه ثم يبيعونه على بعضهم بعضاً فينحصر فى أفراد قليلين فيسافرون به إلى الهند

ليبيعونه هناك* ويوجد أيضاً قسم من (الطواويش) على سواحل البلدة
يستقبلون كل سفينة تقدم إلى البلدة للتزود فيشترون منها ما يريدون ثم يبيعونه
في البلدة على بعض الأوربيين أو على البونيان إلى البحرين خصيصاً لشراء
اللؤلؤ.

فصل ومن جوائح
البحر على أهل
الغوص غير السمك
الحيوان المسمى
عندهم «بالدول»

«الدول» هو حيوان هلامي لا يهتدى فى سيره لجهة معينة وإنما تقذفه الأمواج وهو طاف على وجهها . وحجم معظمه قدر الكف كروى الشكل فى الجملة وله خيوط طوال نحو ذراع فأطول فكأنه كتلة حرير أبيض . فإذا لامس جزء من هذا الحيوان جسم بنى آدم أحرقه حرقاً مبرحاً . وربما أعاب العضو الذى لامسه .

فلو رفع هذا الحيوان بنحو عصاة من البحر وأصابته حرارة الشمس مقدار خمس دقائق لذاب وتحلل ماءً . هو من عجائب المخلوقات . فإذا وجد فى البحر فى بعض السنين يضطر الغائصون إلى لبس (الغلاثل) الثياب الضيقة أثناء الغوص اتقاء لشره .

ويوجد أيضاً حيوان آخر يسمونه (اللويثى) بالتصغير وهو مثل «الدول» هلامي لكنه أحمر اللون وضرره أخف من الأول فإذا لامس الجسم أحرقه بدون تبريح ويورم اللحم كأثر ضرب الشياط . ويبقى أثره وألمه ساعتين فإذا سخن الجسم الملدوع على النار زال ألمه .

ولقد سلط الله النوعين (الدول واللويثى) حيوانين يأكلانهما . يقال لأحدهما (فغلول) وهو حيوان مثلهما فى الخلق ولكن ليس له خيوط وإنما له أصابع غلاظ مجتمعة فى وسطه أشبه شىء بأصابع كف الإنسان حجماً وطولاً وفى وسط الكف فمه . وهو مدور الشكل وقطره نحو شبر :

والحيوان الآخر يسمى (قليان) وهو حيوان مستطيل الشكل مثل القلم وطوله نحو شبر :

وفى المثل المغربى (لكل آفة آفة . حتى الرمل خلق الله له السوافه)
والسوافه اسم قبيلة فى بادية المغرب أرضهم رملية ولهم صبر وجلادة على
مكافحة الرمل المتهايل على بساتينهم من شدة الذارى .

**فصل
فى تعريف
الصدف**

أما الصدف فمعروف لا يحتاج إلى وصف . وإنما نريد أن نبث عن ماهيته فيقول أنه ينبت في أرض البحر الصلبة وله عروق خضر مائلة إلى الزرقة ثابتة بها . ثم يتخلق في بطنه حيوان له أمعاء يأكل ما والاه من الطين أو ما فيه من صغار الحيوانات (المجهرية) ثم يتخلق في خلال لحمه اللؤلؤ فإن كان متوسطاً في اللحم كان اللؤلؤ حسناً وإن لامس أو قارب الصدفة صار رديئاً .

فيصير في أول الأمر نباتاً . ثم معدناً جوهرياً . وهو يثمر مرة واحدة في السنة . فلو تركت الصدفة ولم تقلع ماتت وسوس لؤلؤها مثل ثمرة الموز إذا نضج ولم يجن خرب .

وما قيل من أن الصدف يصعد على وجه البحر في شهر نيسان فيلتقم المطر ثم يرسب في البحر فليس له صحة . وإن نقله المؤرخون وتمثلت به الشعراء . فإنهم نقلوه من أفواه من لا خبرة لهم بحقيقة الغوص واللؤلؤ .

وقد درست أحوال الصدف زمنًا طويلاً فوجدته تلقيه الصدفة الكبيرة على وجه قعر البحر مثل صغار (حب الخشخاش) كأنه بيض نمل في فصل الخريف . ويظهر وجوده في الشتاء وذلك إذا امتاز قعر البحر بالصغار فتراه كأنه خضخاض أصفر . ثم ينمو شيئاً فشيئاً حتى يصير حجمه قدر حب العدس فيرسب حيثئذ في الأرض رسوباً بينا ويجتمع حفنًا حفنًا فتنبت له عروق خضر مائلة إلى الزراق فيها بريق تضرب في الأرض الصلبة والذي ما ثبت عروقه يظل يتدحرج بحركة البحر ويتفرق عن بعضه إلى أن يجد أرضاً صلبة . أو أحجاراً بحرية . أو فيما والاه من أسجار البحر . أو في كبار

الصدف . فيثبت وينمو وتنزل الريح فيه فيتكون فى جوف الصدفة حيوان يسمى «محاراً» كتكون الفروج فى جوف البيضة فإذا تمت خلقة المحار وتمكنت عروقه من الثبات فى الأرض انفلق عن صدفتين وجعلت تتغذى بما والاها من الطين أو ما فيه من صغار الحيوانات (حسب عادة الله المطردة فى خلقه من أن كل ذى روح لابد له من قوت يقاته) ولها أمعاء كأمعاء السمك وإذا سمعت صوتاً أو حركة طبقت صدفتيها عليها . فهى أشبه بالجراد فى كثرة إلقاء بيضها .

وقد رأيت ما ذكرته بعينى من حين كونه بيضاً إلى أن بلغ مقداره المعتاد . ولقد استلقطته بيدى من قعر البحر لاختبرقوة عروقه فوجدتها بمقدار ما يحمل بها وزن ستة أرتال فأكثر . وعروقتها فى غلظ الشعر وطول الأثملة . فهذا هو التحقيق ولا عبرة بما نقله بعض المؤرخين : فإنهم قد قالوا أيضاً أن الأرض على قرن ثور وذلك الثور على ظهر سمكة : وأيضاً فإنهم بالغوا فى وصف عوج بن عنق . وغير ذلك من خرافات العوام أو من أكاذيب الإسرائيليين :

نعم إن قيل أن الماء العذب يحسن اللؤلؤ فهذا مسلم لأن لؤلؤ البحرين لم يبق حسناً على سواه إلا بكثرة الينابيع التى فى وسط البحر كما سيأتى . ومن أجل ذا صار حسناً فلو كان سبب الحسن هو المطر فقط لكان لؤلؤ (جزيرة سيلان) أحسن الجواهر وأكبرها لكثرة الأمطار فيها . والحال أن لؤلؤ سيلان وإن كان أبيض حسناً فهو سريع التغير . بخلاف لؤلؤ العرب فإنه عربى الأصل وما أوتيت من العلم إلا قليلا والله أعلم بالصواب .

عيونها

جزيرة البحرين كثيرة المياه العذبة . ولكثرة ينابيعها البحرية وعيونها البرية كانت فى غاية الخصوبة سوى أن فلاحتها غير متقنة ويوجد فى وسط البحر جملة ينابيع عذبة تفور بقوة . فيغوص عليها المستقون فيلأون منها القرب للسفن ولشرب غالب أهل البلدة وإن من الواقعة على ساحل البحر لما يتدقق مأوها ويسيل على وجه الأرض . ومنها ما إذا جزر البحر ظهرت فاستقوا منها . وإذا مد البحر علاها بنحو ستة أذرع فيغوصون عليها للاستقاء .

والينابيع البحرية هى الطف مياههم لصيانتها عن الأوساخ التى تقذفها الرياح فى العيون غالباً . وأيضاً ليس بها دود ولا طيسى (مكروب) وذلك لعدم مكنه بسرعة فورانه وتدفعه .

وعدد الينابيع البحرية المشهورة عندهم بأسماء مخصوصة نحو (٢٥) ينبوعاً غير الصغار المجهولة الاسم ويبعد بعضها عن البر بنحو (٢٥) ميلاً فأبعد ويعلوها البحر بنحو خمسة أبواع فأكثر * وعدد التى فى البحر نحو (٢٠٠) عين وذلك غير الصغار . وغلبها يسيح على وجه الأرض ثم يفيض فى البحر . وفى زمن الصيف ينزل غالب الأهالى والحكام على سواحل البحر قرب هذه الأعين الجارية بين النخيل والبساتين . ولكل أناس جهة مخصوصة باسم مختص بها . وارتحالهم إليها من أواسط الربيع إلى أوائل الخريف ويتخذون هناك بيوتاً من جريد النخل موقفة (وبسبب كثرة هذه الينابيع والعيون صار لؤلؤ البحرين فى غاية الحسن كما قدمنا) .

وإن عيون البحرين وينابيعها الموجودة اليوم تزيد على معدل (حالة

أرضها الطبيعية) بكثير من أن قسمًا من عيونها العظيمة قد سدت بالصخور العظام. ويقال أن الذى أمر بذلك هو أحد عمال عبد الملك بن مروان الأموى بسبب تمرد أهل البحرين عليه لتوفر مصالحهم وربح أراضيهم.

فأمر بردم معظم العيون الكائنة فى الجهة الغربية مثل عين (سيجور) وخلافها وقصة ردم هذه العيون مشهورة عند أهل البلدة. ولكنى لم أقف لها على ذكر فى التواريخ والذى يظهر لى والله أعلم أن ردمها لم يكن لتمرد الأهالى على العامل حيث أنه يمكنه أن يؤديهم بغير ذلك. ولأن ردمها لم يخل بمصالح البلدة عموماً حتى يقال أنه أراد الانتقام من الكل.

وإنما لما كانت الجهة الغربية منخفضة وقليلة الزراعة والبساتين والسكان أمر بردمها مصلحة للأهالى ليرجع نبع مائها إلى العيون الأخرى (وهذا هو الأقرب للرأى السديد)* وتعد الينابيع البحرية من عجائب القدرة وفى الحقيقة أن البحرين أكثر البقاع مياهاً مع أنها جزيرة.

جزائرها

يوجد غربى البديع على مسافة نصف ساعة فى السفن جزيرة تسمى (جداء) بالكسر. وهى صغيرة خالية من الماء والعشب وليس بها أحد وإنما بها صخور وجبال ينحت منها عند اللزوم.

وعلى مسافة ساعة من البديع أيضاً جزيرة أخرى تسمى (نعسانا) وهى أكبر من الأولى. وبها من أنواع الصيد (الظبى والأرنب والحبارى وفيها معدن الجص. وبها عين ماء كبيرة فى السهل. وأخرى منحدره من سفح جبل هناك تسمى (القطارة) ويسكن هذه الجزيرة أفراد من الجصاصين.

وتذهب إليها الحكام والأمراء زمن الخريف للكنص فيها بالطيور
وبالكلاب السلوقية .

الجبـال

يوجد فى وسط جزيرة المنامة على مسافة نصف ساعة للراكب من
الصخير جهة الجنوب جبل عظيم مستطيل يسمى (جبل الدخان) ارتفاعه نحو
(٤٠٠) قدم . وقد ذهبت إليه فى ٢٢ جمادى الأولى عام (١٣٣٢) وفى
الثـلث الأعلى منه غار عجيب النحت كأنه حجرتان واحدة فى داخل الأخرى
وهو متسع وعرضه نحو (٨) أذرع وطوله نحو (٢٥) ذراعاً وارتفاع سقفه نحو
(٨) أذرع . وقد دخلته بنفسى صحبة ولى العهد سمو الشيخ حمد بن ذى
العظمة سمو الشيخ عيسى بن على آل خليفة ومعنا الشيخ عبد الله بن يعـد بن
شـمـلان وجـمـلة من حاشية الحاكم . وفى ذلك الوقت صدر الأمر من سمو
الحاكم الشيخ عيسى بتنظيف هذا الغار وإزالة التراب والأوساخ المتراكمة مع
مرور الدهور وتوالى السنين .

ووصفه هو أن سقف الحجرة الأولى منحوت قبة واحدة مطوقة وبابها
مقابل جهة الشمال . وفى وسط الحجرة من الجهة الغربية باب فى عرض
ذراعين وارتفاع قامة يفضى إلى الحجرة الداخلية . وهذه الحجرة الثانية سقفها
مشكل من قبتين مطوقتين متلاصقتين ، وفى أعلى الجبل من جهة الغرب
موضع برج قديم متهدم يظن أنه بنى قبل ظهور الإسلام . ولم يبق منه اليوم
سوى أساسه المحكم البناء ووصلته أيضاً فى ذلك اليوم صحبة صاحب العظمة
سمو الشيخ عيسى آل خليفة .

هواؤها

هواء جزيرة المحرق جاف نقى معتدل فى الجملة لم يوجد بأرضها وخامة ولم يكن بها وباء لقلة النخيل بها ولأن شرب أهلها من ينابيع البحر . وأما هواء جزيرة المنامة فردىء رطب فيه بعض الوخامة . وأما هواء القسم الجنوبى منها من (الرفاع) فصاعدًا فهو نقى تام الصحة .

الحالة الاقتصادية

الزراعة والنباتات:

جزيرة البحرين هى كثيرة النخل والأشجار والثمار وأجود رطبها (الخلاص) وأحسن ثمرها (المرزبان) وكان بها نحو (٨٠٠) نوع من التمر . وكان يضرب بها المثل فى كثرة الرطب والتمر فيقال (كناقل التمر إلى أوال) وبها الرمان والتين الأبيض والموز والأترج بكثرة مفرطة . والخوخ . والمشمش والكمثرى والنبق ويسمونه (كنارا) ويقولون (إذا طاح الكنار تساوى الليل والنهار) وهو كذلك لأن إبانته أول برجى الاعتدالين (الحمل والميزان) وبها الحمر ويسمونه (صبارا) وبها الليمون بنوعيه والنانج والتوت والأنباء والمخيظ ويسمونه (بمبرا) وهو يكبر بمقدار الليمون . وبها القثا ويسمونها (طرحا) وبها ثمرة يسمونها (لوزا) وبالفارسية جلغوزه وعربت قديما (بحلوز) فحرفوها وقالوا (لوزا) وهى ثمرة تشبه اللوز فى الوضع وقدر الكمثرى فى الحجم وهى نوعان أبيض وأحمر وأجودها الأبيض . وفى وسط كل منهما نواة مغشاة بعروق أشبه شىء بالأنباء . وإذا كسرت تلك النواة وجد فيها لب أشبه شىء بالفستق لونًا وطعمًا وحجمًا .

والمأكول من هذه الثمرة ظاهرها فقط وهو قليل الخلاوة مائل إلى

الحموضة نوعاً ما . وفيه نوع عفوصية فيظهر أن طبعه بارد يابس . وإذا أكل
تقاطر من الشدقين ماء خمري اللون . وهو لطيف مهضم للطعام وهو كثير
جداً بها . وبها من الأزهار والفل ويسمونه (رازقيا) والياسمين والآس
والريحان وهو الأكثر ويسمونه (مشموما) ونساءهم مغرمات بالتزين به تعليقاً
على رؤوسهن بكثرة مفرطة . ويوجد بها من المخضرات الباذنجان بنوعيه
الأسود والأحمر والبامية والرجلة والفجل والكراث . وللبهائم البرسيم .

الحيوانات



هذه الفرس المسماة (المصنة) وهى من مشاهير خيل العرب وهى ملك
للشيخ حمد بن عيسى آل خليفة

يوجد فى البحرين أصائل الخيل وأشهرها الفرس المسماة (المصنة) وهى من بعض خيال الشيخ حمد بن عيسى ولها شهرة طائرة فى السبق والنجابة . وبها أيضا نجائل الإبل (العمانية) وحسان الأتن . وغالب ركوب الأهالى على الأتن البيض . ويعلفونها صغار السمك مع التمر . وقد أنتج ذلك ضخامة جسمها ضخامة حسنة . حتى أنهم ليفضلون ركوبها على ركوب الخيل . . ويوجد بها أيضا البقر والضأن والمعز . ومن الصيد الطباء والأرانب والحبارى .

وقد جلب إلى البحرين سمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة (الطاووس) سنة (١٣١٨) .

ولأهل البحرين وبالأخص حكامها ولع شديد فى القنص بالطيور الحرة . والكلاب السلوقية . فإنهم يعتنون فى تربيتها وتعليمهما غاية الاعتناء وغالب رغبة الحكام والأمراء فى اقتناء الطيور (الحرة) وهى التى تألف البرارى غالبا (الصقر) .

وأما التى تألف السواحل فيسمونها (شواهين) وهى أصغر حجماً من الصقر الحر . وأرخص ثمناً منه . ولكنها تمتاز عن الحر بسرعة السير فى بادئ الطيران . ويمتاز الحر عنها بكثرة صيده حيث أن الحر بما يصيد فى اليوم الواحد عشر حبارات . وله منظر حسن وهيبة ظاهرة كما ستراه على يد المؤلف فى الصورة الآتية ويعيش (الحر) نحو ١٢ سنة بقوته المعتادة وكان عند الحكام الحاليين طير مكث عندهم (١٨) سنة ولكن ضعف بصره من الكبر ويقال أنه يعيش إلى ٢٠ .

وأغلب الطيور الحرة تجلب إلى البحرين من أرض فارس غشيمة

فيعلمونها ويخصصون لكل طير اسماً من أسماء مشاهير العرب القدماء أو الحاليين كقيس وهذا وطلال ونحوهم ومتى أطلق الطير ثم دعى باسمه المخصوص له عاد ولو كان طائراً في أثر صيد له فإنه يترك الصيد ولو كان جشعا ويعود لصاحبه ويعلمون الطيور المذكورة بنوعيتها صيد الحبارى فقط .

وأما صيد الأطباء والأرانب بها فليس بمحمود عندهم . وموسم الصيد والتنزه بالطيور زمن الخريف فإنهم يذهبون بها إلى براريهم وإلى سواحل الحساء . وربما سافر كبار أنجال الحكام مع جملة من حواشيهم إلى (لنجه) من أرض فارس فيقنصون في براريها نحو شهر . ويصرفون مبالغ طائلة على ذلك ثم يعودون إلى أوطانهم . ويجمعون الطيور الحرة فقط عند أناس مخصصين يبارونها إلى الموسم الآخر . وترد إلى البحرين في كل سنة نحو (٢٠٠) طير من النوعين الصقور والشواهين .

وكذلك فإنهم يعلمون الكلاب السلوقية على صيد الأطباء والأرانب وربما دربوا الطير على مؤالفة الكلاب لتساعد على الصيد وأن الكلاب لتعدو عدواً جيداً حتى أنى رأيت كلبة عند الشيخ حمد تعدو مع الخيل يوم الرهان وأنها لتتقدم عند الحلبة أمام جياذ الخليل .



المؤلف الشيخ محمد ابن الشيخ خليفة آل نبهان نرى أسلافه وعلى يده
(صقر) حرفى حالة القنص بالطيور

المعادن

يوجد فى البحرين معدن الجص والنفط والفيبر عند (جبل الدخان) المتقدم ذكره والأخيران غير مستخرجين . وفى البحر اللؤلؤ واليسر كما تقدم .

الصناعة

تنسج عندهم بعض العبي ومن المصنوعات اليدوية والمنطرقات من النحاس والصففر والحديد . وتنسج عندهم المدات (نوع من الحصر) ويسفر منها إلى الخارج مبالغ مهمة وعلى الأخص نحو العراق حيث أن جميع المساجد فى العراق مفروشة منها .

ولهم مهارة تامة فى صنع السفن الشراعية الكبار

صادراتها

يصدر من البحرين اللؤلؤ وهو الأهم . والصدف ثم السلوق (البلح المسلوق) والروبيان والسمك المجفف والترنج والمدات نوع من الحصير

التجارة

غير متقدمة إلا فى اللؤلؤ . وأما تجارتها الداخلية فنظراً لقلّة طرق المواصلات فهى متأخرة . وأما التجارة البحرية ولو أنها غير عظيمة إلا أنها كافية لترويج أشغالهم ونقل بضائعهم

الآثار

- أوالأماكن المأثورة -

قرية عسكرية - هى على مسافة ساعتين ونصف للراكب من المنامة جهة الجنوب . وأول من سكنها من العرب «آل أبى سميث» بالتصغير ثم ظعنوا عنها وسكنوا «لنجه» بلدة بفارس فنزل قرية عسكر بعض (آل أبى عينين) وهو بها إلى اليوم . وبهذه القرية «ضريح صعصعة ابن صوحان العبدى» وهو مخضرم قال أبو عمر كان صعصعة مسلماً فى عهد رسول الله ﷺ ولم يره : قلت وله رواية عن عثمان وعلى وشهد صفين مع على وكان خطيباً فصيحاً وله مع معاوية مواقف : وقال الشعبى كنت أعلم منه الخطب : وروى عنه أيضاً أبو اسحق السبيعى والمنهال بن عمرو وعبد الله بن بريدة وغيرهم . وذكر العلاء فى أخبار زياد أن المغيرة نفى صعصعة بأمر من معاوية من الكوفة إلى جزيرة أوال من البحرين فمات بها وأنشد له المرزبان

هلا سالت بنى الجارود أى فتى عند الشفاعة والبان ابن صوحانا

كنا وكانوا كأم أرضعت ولدا عقا ولم تجز بالإحسان إحسانا

وأما أخوه زيد بن صوحان فإنه توفى بالكوفة فى وقعة الجمل بعد أن قطعت يده وهو الذى عناه النبى ﷺ بقوله : وأما زيد فرجل من أمتى تدخل الجنة يده قبل بدنه أ هـ . وكانت على ضريح صعصعة قبة ثم تهدمت ولم تعمّر .

وفى جنوب ضريح صعصعة قبر «الشيخ الجوى» وهو من صلحاء قرية جو دفن هناك بوصية منه . .

ومشهور عند أهل البحرين أن من خصائص قرية عسكر عدم دخول الطاعون فيها. ويعدونها كرامة لصعصة رضى الله عنه: وفحص عن ذلك فلم يسمع منذ سكنتها العرب أن أحداً مات بها مطعوناً قط. والله يختص برحمته من يشاء

قرية المالكية

وهى جنوب البديع على مسافة نصف ساعة منها. وبها «قبر الإمام زيد» ولم أجد أحداً يعرف اسم أبيه لنعرف من هو. سوى أن أهل البحرين وبالأخص أهل تلك القرية يعظمونه ويتبركون به ويقولون إنه صحابي - فأقول لعله زيد بن عميرة لأنه من أهل البحرين ومن المخضرمين ومن أصحاب العلاء بن الحضرمي الذي فتح البحرين "كما سيأتى فى الباب الأول" وقال فى كتاب الإصابة زيد بن عميرة العبدى له صحبة قاله أبو عمر ولم يزد ثم قال وأظنه الكندى وروى الحارث بن أبى أسامة طريق الجارود أنه قرأ فى نسخة عهد العلاء بن الحضرمي وشهد زيد بن عميرة. وأيضاً أخرج الحارث بن أسامة من طريق المسور بن عبد الله الباهلى عن بعض ولد الجارود أنه أخذ هذه النسخة من نسخة عند العلاء ابن الحضرمي حين بعثه النبي ﷺ إلى البحرين وشهد معاوية وعمان والمختار بن قيس وقصى بن أبى عميرة وفى رواية ابن أبى عمرو. وسعد بن عبادة والضحاك بن أبى عمرو. وشبيب بن أبى مرثد وفى رواية ابن قره والمستنير بن أبى صعصة الخزاعى وعوانة أو عبادة بن الشماخ الجهنى وسعد بن مالك وسعد بن معاذ (وزيد بن عميرة العبدى) ١ هـ قلت فإذا كان العلاء هو الفاتح لهذه الجزيرة وقد استشهد ببعض أهلها وزيد المذكور هو فى ضمن من استشهد بهم وهو أيضاً عبدى وسكنى

العبدین البحرین فیحتمل والله أعلم أن زید بن عمیرة هو المشهور الیوم فی أفواه أهل البلدة (بالأمیر زید) ویقولون أنه صحابی والله أعلم.

جبل حیان

(أوقریة جبل حیان)

هی شبه جزیرة واقعة فی الجهة الجنوبية الشرقية عن (عسکر) وتسكنها الیوم قبيلة الدواسر زمن الشتاء وفی وسطها جبل بأعلاه ضریح مشهور (بقبر حیان) وهو معظم أیضاً عندهم.

فلعله حیان بن مازن لأن مازنا صحابی ومن أهل عمان ورئیسها ویحتمل أنه أرسل ابنه حیاناً إلى «جزیرة أوال» عاملاً علیها وقصة مازن مشهورة عندهم. (وهی) أن أول من أسلم من أهل عمان هو مازن بن غضوبة ابن سبیعة بن شمامة بن حیان بن مرة بن حیان بن مرة بن أبی بشر بن حطامة ابن سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث ابن طی. وكان یسكن (قریة سمایل) ویعبد صنماً یقال له (ناجرا) فذبح له شاة ذات یوم وقربها إلیه فسمع صوتاً من الصنم یقول

یا مازن اسمع تسر ظهر خیر وبطن شر

بعث نبی من مضر یدین بدین الله اکبر

فدع نحتاً من حجر تسلّم من حر سقر

ففزع من ذلك وقال أن هذا لعجب ثم قرب قرباناً آخر فسمع صوتاً آخر

من الصم یقول:

يا مازن اقبل تسمع مالا تجهل
 هذا نبى مرسل جاء بحق منزل
 فآمن به تعدل عن حر نار تشعل
 وقودها الناس والجنادل

فقال إن هذا لهو العجب وإنه لخبر يرادنى فينما هو كذلك إذ ورد عليه رجل من أهل الحجاز يريد ماء فسأله ما الخبر وراءك فقال إنه ظهر رجل يقال له محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف يقول لمن أتاه أجب أدعى الله فليس بمستكبر ولا جبار ولا مختال. أدعوكم إلى الله وترك عبادة الأوثان الخ. فقال مازن والله نبوء ما سمعته من الصنم فوثب إلى الصنم فكسره جذاذاً. وتوجه إلى رسول الله ﷺ. فلما قدم سأله عما بعث إليه فشرح رسول الله ﷺ له الإسلام فأسلم ونور الله قلبه ثم قال للنبي ﷺ أدع لى ولأهل عمان فقال اللهم اهدهم وثبتهم فقال زدنى وجعل يعرض مقاصده من الدنيا تفصيلاً ويطلب الدعاء من النبي ﷺ إلى أن طلب ولداً ورزقه بعد حين وسماه (حيانا) ثم أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل عمان كتاباً. الخ كما وضحنه فى تاريخ عمان. فيظهر لى والله أعلم أن حيانا هذا هو المدفون فى هذا المحل. وقيل أنه ابن محصن.

النبیه صالح

توجد جزيرة بين قرية أم الحصم^(١) وبين ستره قرب (الماحوز) فيها قبر يسمونه (قبر النبي صالح) والعوام يقولون قبر النبي صالح وعند قرب القبر كهف يزعمون أن فصيل ناقة صالح دخل فيه. ولم أطلع على حقيقة صاحب هذا القبر.

المشهد

يوجد غربى المنامة من جهة الجنوب على مسافة نصف ساعة منها موضع يسمى (سوق الخميس) يجتمع فيه أهل البلدة فى كل خميس للبيع والشراء حتى اليوم. وعنده عين نباعة كالزلال تسمى (أبا زيدان) ومبنى على نصف ظهرها مسجد صغير للصلاة. وشمالية على مسافة نحو (١٠٠) ذارع آثار مسجد آخر وفى جانبه أطلال مدرسة قديمة لم يبق منها سوى بعض جدرانها وبعض اصطوانات مدورة منحوتة من صخر عظام ومكتوب على الجدران نقراً فى الحجارة بخط كوفى.

وعندها منارتان متقابلتان شرقاً وغرباً طول كل واحدة منهما نحو (٧٠) ذراعاً. وتسمى هذه الأطلال (المشهد) فوصلته وصعدت المنارة الغربية وكتبت

(١) أم الحصم موضع على ساحل البحر جنوب المنامة على مسافة ساعة منها وهو نقى الأرض لطيف الهواء زمن الصيف وبه كثير من النخل والفواكه. وبه مقيظ للشيخ عبد الله بن سعد بن شملان. وبه عين نباعة تسقى بساتين تلك الجهة تسمى (هرته) وكانت متهدمة الأطراف فعمرت بهمة الشيخ عبد الله بن شملان المذكور والشيخ محمد بن أحمد بن هجرس سنة (١٣٣٠) وأمر أيضاً ببناء حجرة قربها جهة الجنوب الشرقى لتكون حماماً للنساء يغتسلن فيها. فجزاهما الله خير الجزاء. ورحمهما رحمة الأبرار. ١ هـ مؤلف.

اسمى نحتاً فى أعلى حجر فى داخلها ووجدت عدد درجها إلى الدائر الثانى مائة درجة وعلى باب المنارة الغربية حجر مكتوب بالخط الكوفى . ولكن عسر على قراءته لأن المدرسة المتهدمة ردمت باب المنارة حتى دفن معظمه فصار الحجر عند الأرض وجعل الصبيان يلعبون فيه بالدق حتى تشامت غالب الكلمات فعسر علينا قراءتها . ولم يكن معى فى ذلك اليوم آلة الرسم (المخيلة) لآخذ رسمه وأتفحص بعد ذلك فى كتابته .

وهذا المسجد والمدرسة مع المنارتين الجميع من أبناء عمر بن عبد العزيز الأموى .

المراقيب

توجد فى شمال غرب الرفاع أرض واسعة الفضاء تسمى (المراقيب) وفيها آثار قبور قديمة دارسة كأنها قرى متفرقة وكل قسم منها يحتوى على نحو (٣٠٠) قبر فأكثر وقد نبت فوق هذه الأرض من طول ما لبثت شجر العوسج والشيخ والقيصوم والجشجات والجعدة ونحوها من الأعشاب البرية .

فنقول - يكاد أن يكون من المحقق أن ضفاف (خليج البصرة) كانت أول موطن للإنسان فى عهد حضارته وإن شئت فقل بداوته الأولى . ويرى بعض العارفين الذين حاولوا درس طبيعة البحرين أن هذه الجزيرة كانت على الراجح مهد السلالة البشرية بعد ارتقائها فى سلم الحضارة . حيث أن مجموع المدافن التى تملأ ربواتها رحاب الصحراء وتمتد إلى مالا يدرك الطرف آخره حيرت من وقف بها من السياح يحاول كنه حقيقتها: ولقد أمها الناس فى كل عصر وزمان وجاسوا خلالها من الأسود الذى ربما كان جد الإنسان المدنى إلى الكلدانى فالبابلى فالفينيقى فالبيونانى فالفارسى فالعربى . وتكاد تسمع وقع

أقدامهم على مر الدهور ومع ذلك لم يتركوا لنا أثراً يأنم به المستهدون منا أو قبساً يستضىء به المعتسفون في دياجير التاريخ. ويقال أن آخر مرة ذكر التاريخ فيها جزيرة البحرين هو يوم زارها (نيارخوس) في رأس الأسطول اليوناني عملاً بأمر مولاه إسكندر الأكبر.

ولم نعلم حتى اليوم حقيقة هذه القبور ولم يتحقق لدينا زمن بنائها ومن هو المؤسس لها. ومن الراقدون بها وعلى أى دين كانوا يتعبدون به: ويستفاد من أقوال بعض المؤرخين أن المدفونين فيها هم من أصل فينيقي هجروا أوطانهم وقطعوا فيافي بلاد العرب وحلوا بهذه الربوع وبنوا في البر (بلدة الخط) قرب مدينة القطيف الحديثة. وكانت مدينة عظيمة فيها أسواق تجارية رائجة تسمى (الجرعاء) التي يظنها البعض أنها نفس مدينة أوفير الشهيرة بكثرة ذهبها والغنية بمعادنها.

فهل اعتقد سكان الجرعاء أن البحرين قطعة مقدسة التربة حتى نقلوا إليها جنازتهم ودفنوها فيها (كما يفعل اليوم الشيعة في نقل جنازتهم إلى كربلاء والنجف) أو لأنها قريبة من البحر وهى مركز التجارة وإن تلك المدافن هى قبور أولئك السكان: وأقيمت تلت المقبرة الغربية قبل أن يباحوا الوطن ويتوغلوا في قلب بلاد العرب. أو قبل أن يمصر أهل الجزيرة أرض الكلدان وينشئوا فيها مهجراً وقيموا مستعمرة فهذه المسائل لا يستطيع الإنسان أن يبت فيها رأيه لعدم عهدتها وغموض أسرارها. وأن المستر "بنت" فتح بعض القبور وعثر على بضعة آثار فانتقى منها شيئاً وبعث به إلى المتحف البريطاني وبعد إمعان لجنة المعهد فيها وتدقيق فحصها قر رأيها على أنها من أصل فينيقي وعليه فتدل هذه الآثار على أن القبور القديمة جداً. فإذا سلمنا بتلك الدلائل

واعتبرناها صحيحة فتكون القبور قد بنيت على الأقل منذ نحو خمسة آلاف سنة هذا إذا كان (رولنسن) قد ضبط حسابه فى تاريخ الهجرة إلى البحر المتوسط .

وأن الخط المسمارى قديم جداً عند سكان بابل وكان للفينيقيين ضرب من الكتابة تشبه الحروف . ولما اكتشفت صناعة الكتابة وأخذ الناس يستعملونها فى التدوين والتسجيل تركت الكتابة المسمارية على أن الباحث مهما نقب فى تلك المدافن لا يعثر على شئ من قبيل الحفر أو النقش على صخورها أو على أحجارها مع أن الفينيقيين عندما ألقوا عصى ترحالهم فى البحر المتوسط أخذوا يقلدون المصريين فى وضع موتاهم فى (نواويس) ولكن الباحثين لم يعثروا على (ناووس) واحد فى تلك المدافن ليتخذوا منه دليلاً على تاريخ سالف لزمان الجلاء . وهناك أمر آخر يستحق التدبر والتروى وهو أن أحد الباحثين قال حين اكتشفت البقعة وتدبر ما فيها أن جميع القبور التى فتحت بجنب (رفاع الشيخ على) أى الرفاع القبلى . وهى قبور أعلى ما سائر القبور التى وراءها بنحو (٢٠) قدماً هى على رأيه أحدث من غيرها . ومما يؤيد ذلك أن هذه القبور قائمة على طرف المقبرة الفسيحة الأرجاء القديمة العهد ويظهر أنها آخر ما شيد وأقيم هناك . . وكتب القائد دوراند ما نصه " أن الآكام العالية هى قرية على وهى أكبر من غيرها .

وذكر فينرخوس الذى تولى قيادة أسطول إسكندر الكبير فى سفرته الشهيرة إلى خليج العجم يصف كيف أنه زار مدينة فينيقية فى البر وجزيرة تدعى (ترين) ويظهر أنها هى التى تسمى اليوم (دارين) عند العرب وهى فرصة بالبحرين . وقد رأى هناك قبر (ارثرا) الذى كان سلطان الخليج . ووصف

(نيرخوس) المدافن بقوله (رابية مرتفعة كثيرة النخل) فهذا الوصف ينطبق على إحدى تلك الروابي العالية بقرب (قرية على) بخلاف سائر الروابي فإنها لا تنطبق عليها وهى بعيدة عنها أميالا عديدة بيد أنه لا يوجد الآن نخل وهو لا شك مات لتقادم عهده .

وهذه الرواية تؤيد أن الآكام الكبيرة بنيت فى العهد الأخير والدليل على ذلك أن اسم الشخص المدفون فى إحداها ذكر فى زمن (نيرخوس) رفيق إسكندر المكدونى عند ما شاهدها ويظهر أنه لم يبحث أحد فى هذا الأثر منذ ذلك الحين حتى قام الضابط (دورند) الذى رفع أخيراً إلى درجة (دوق - أمير) وجعل يبحث فيها :

وصف المدافن

خلاصة ما شهدناه وما قاله الصحفيون . وهو أن كل مدفن يشتمل على حجرتين الواحدة فوق الأخرى مبنية من قطع صخور ضخمة ولا يبعد أنها قطعت (من جبل الدخان) ويوجد فيها أيضاً على جوانبها حجر ومعايير مسيعة بطين على غاية الإتقان ولا يوجد بها عقود ولا دعائم . ويظهر أن الحجر قد بنيت قبل أن يبنى سائر ما يحيط بها من البناء . وهذا البناء محكم مجصص وله طبقات مرصوفة من التراب وصغار الحجارة وكأن هذه المدافن قد أقيمت لمقاومة الدهر وصد آفاته فمحيط أساس أكبر النلول نحو (٥٠) ذراعاً وقد عثر القائد دورند على هيكل بشرى فى الحجرة السفلى طوله نحو تسعة أقدام صغير الجمجمة منخفض الجبين حرف حجاج العين (المحجر) وعند ما عرضت الجمجمة للنور والهواء تكسرت كسرا عديدة . وإن رؤية بعض عظام الهيكل تدل على أن أصحابها دفنوا وهم جلوس ويظهر أنهم كانوا من وجوه

الأمة وسرات القوم وكان دفنهم يجرى على خلاف ما كانت تدفن العامة . على مثل ما هو جار اليوم عند النصارى فى دفن (البطاركة والمطارنة والملافنة والأساقفة) وسائر الرؤساء الروحانية منهم غير أن ذلك يحتاج إلى بحث دقيق وفحص كثير (وسنعود إن شاء الله إلى البحث فى هذا الموضوع فى الطبعة الثالثة) وقد اكتشفت حديثاً فى المنعطفات قطع من عظام بنى آدم :

أما الحجر العليا (الفوقانية) فقد وجد فيها عظام كبيرة من عظام الخيل : وأيضاً وجد فيها قطع من معدن يشبه الصفر والنحاس . وشقف وخزف خشنة غير مصقولة وقشور بيض النعام وبعض آنية مصنوعة من العاج وتمائيل وغير ذلك من الأدوات المختلفة الأشكال . وفى أرض حجر بعض المدافن شىء كثير من عظام اليربوع . ومقدار وافر من العظام الصفر قد دفنت هناك منذ قرون عديدة (ويفهم أنها نقلت تلك العظام من محل آخر إلى هذه المقابر) :

وقد نقتب أغلب تلك الحجر تنقيماً دقيقاً فى العثور على آثار ذات شأن جليل ولكن جل ما وجد فيها هو بقايا سجف وستور قد تحولت إلى كوم من التراب لطول عهدها . وهناك أيضاً قطع أخشاب مسوسة . أما البناء فهائل جداً وجرمه عظيم لكن يعثر على الأدوات التى كانت تتخذ فى الحفر والبناء . بل ولم يعثر على رسوم أو نقوش أو كتابة غير أن هناك شقوقاً وأخاديد ونوعاً من الخنادق القليلة الغور قد حفرت حول أساس كل مدفن .

وقيل - أن أول من فتح بعض تلك المدافن وباشر بالحفر والنقيب فيها هو المنكب (اليوزباشى دورند) عام (١٢٩٦ هـ - ١٨٨٩ م) ثم «بنت» ومعه قرينته وجعلا يحفران وفتحا مدفين سنة (١٣٠٦ هـ - ١٨٧٩ م) . وفى سنة (١٣٢٢ هـ) زار جماعة من البلجيك البحرين وتفقدوا القبور وفتحوا أحدها

ولم يبلغا نتائج أبحاثهم. وقد حفر معتمد إنكليزي في البحرين (بريدكس) بعض المدافن قرب (رفاع الشيخ على) واشتغل فيها عدة أسابيع وفعل مثل ذلك قرب (المنامة) وجمع قسمائهما من الرفات وبعض قطع من العظام البشرية وغيرها من الآثار وبعث بالكل إلى (متحف) لندن، وأحدثهم عهداً بها (بالبحرين) الإنكليز وقد سبقهم إليها البرتقال فالعرب فالفرس فالهنود فالرومان فال يونان فال فينيقيون فال بابليون فالكلدانيون فأصحاب الرءوس السود الذين هم أول من مدر رواق التمدن والعمران البشرى على وجه البسيطة وعليه فيكون تاريخ مسقط رأس العالم الإنساني. ولهذا تحسب مملكة الرومان والصين واليابان والهند من ممالك أمس بجانب هذا.

وكم من أمة وقبيلة وشعب ودولة زالت وانقرضت وأمست في خبر كان. وأما تلك المدافن فشاخصة قائمة بعزها ومجدها كما كانت منذ أول بنائها. وأن أنياب الدهور ومخالب طوارئ الزمان لم تقو على ملاشاتها وأفنائها من على سطح الكرة الأرضية وهي واقفة على أركانها وتلوها الضخمة تسخر بمرور الأيام وكرور الأعوار فسبحان من بيده البقاء والخلود والفناء والوجود في كل مكان وزمان.

تاريخ ارتقاء البحرين

سنة ١٣٣٤ هـ جلبت أول مطبعة حجرية إلى البحرين سنة ١٣٣٧ هـ أول من جلب الجوار لـ (مونكار) هو سمو الشيخ عبد الله بن المعظم الشيخ عيسى آل خليفة بعد عودته من أوروبا. وكان في أثناء بقاءه في لندن قد ركب الطائرة وارتفع بها إلى أن اكتشف بها مطلوبه ثم عاد فنزل. فصعدها ابنه سمو الشيخ محمد وكذلك رقى بها إلى حيث شاء وحلق بها في الجو ثم عاد

ونزل. فهما أول من ركب الطيارات من أهل جزيرة العرب وذلك عام ١٣٣٧هـ.

سنة ١٣٣٧ هـ وضعت آلة الرمزى (تلغراف اللاسلكى) فى جزيرة المنامة فى الموضع المسمى (الحورة) ثم بعد ذلك وضعت فى جنوب غرب (القضبية) أنصاب كهياة حلقة. يقال أنها ستكون فى وسطها محطة للطيارات.

سنة ١٣٣٨ هـ تأسس فى البحرين المجلس البلدى تحت رئاسة سمو الشيخ عبد الله بن الشيخ عيسى آل خليفة وفى أواخر سنة ١٣٣٩ هـ آلت إلى أخيه سمو الشيخ حمد.

سنة ١٣٣٩ هـ أول من جلب القازوز «النمليت» إلى البحرين يوسف بن لطف على الخونجى بشراً كته مع سمو ولى العهد الشيخ حمد وكذلك هما أول من أتيا بمعمل الثلج.

سنة ١٣٣٩ هـ أول من جلب الآلة المولدة للقوة الكهربائية إلى البحرين للضياء والهواء فقط هو يوسف كابو.

سنة ١٣٣٩ هـ نهض حكام البحرين واشرافها بيت العلوم والمعارف فبدأوا أولاً بتأسيس المدارس العلمية وجمعوا لها من الإعانات نحو ثلاثمائة ألف روبية وشرعوا فى بناء مدرسة كلية فى غرة ربيع الأول من العام المذكور. واختاروا لها موضعاً خارج البلدة شمال المحرق على الساحل وأطلقوا عليها اسم (مدارس الهداية) وقد حضر عند وضع أساسها حكام البلدة وأعيانها. وأن أول حجر وضع فى أساسها هو بيد صاحب العظمة سمو الحاكم الشيخ عيسى بن على آل خليفة. وانتخب رئيسها الأول الشيخ

عبد الله نجل الحاكم. وقد وصلتها في محرم سنة (١٣٤٠) فرأيتها عجيبة البناء والموقع تشبه الثكنة العسكرية أو الاستحكام الحربى:

سنة ١٣٤٠ هـ وفى محرم عام (١٣٤٠) تأسست فى المنامة دائرة الشرطة. وفى نية البلدية إقامة جسر ممتد من المنامة من طرف الحورة إلى المحرق قرب حالة أبى ماهر.

الحالة السياسية

المساحة:

طول مساحة جزيرة المنامة شمالاً وجنوباً (٢٥) ميلاً وعرضها (٩) أميال. وطول جزيرة المحرق (٥) أميال وعرضها (٢) وتدوير مساحة الجزيرتين نحو (٨٠) ميلاً.

السكان:

يبلغ عدد سكان جزيرة البحرين عموماً نحو (٣٠٠) ألف شخص:

أجناسهم:

غالب أهلها من العرب الأصليين وهم يتمذهبون بمذهب الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة النبوية رضى الله عنه: ومن كان منهم شافعيًا فأصله من فارس ومن كان منهم حنفيًا فأصله من الهند أو من بغداد. ومن كان منهم حنبليًا فأصله من نجد.

أهلها:

ولم يزل سكان البحرين بازدياد مستمر لموقعها التجارى وأرباحها الوفرة فقد سكنها أهل فارس والهنود المسلمون منهم والوثنيون. وأهل العراق

المسلمون والنصارى واليهود وأهل نجد والإحساء وعمان وأهل اليمن وحضرموت .

وقد قُدر زيادة سكانها بين سنتي (١٣ و ١٣٢٣) بعشرين في المائة وبين سنتي ٢٦ و ١٣٣٢ بخمسين في المائة . سوى أن العلوم والمعارف بطيئة التقدم .

وكنت قد زرتها المرة الخامسة في يوم الخميس (٢٠) محرم عام (١٣٤٠) ونزلت ضيفاً على فراش حاكمها صاحب الجلالة سمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة في المقيظ فأكرمنا غاية الإكرام . وأمر بإقامة لوازمنا على أكمل ما يرام . وأنعم علينا هو وسمو أنجاله الفخام بأوفر الإنعامات .

ولما ارتحلنا إلى البلدة استأذن سمو الشيخ محمد من والده صاحب العظمة بأن أكون في ضيافته فأذن لي سمو الحاكم بالنزول على فراش نجله المذكور سمو الشيخ محمد . فأغمرنا بإنعاماته فوق ما يؤمل . وافرز لنا مجلساً منظماً مخصوصاً لنا تزورنا فيه العلماء والأصدقاء في كل يوم . وفي يوم مبارحتنا للبحرين أمر لي الحاكم بمفرشة (زولية) فاخرة . وكساني حلة ولى العهد سمو الشيخ حمد (عبادة قيلانية وعقالا قصباً وشالا صوفاً) وكذلك كساني أخوه سمو الشيخ محمد (من أنا على فراشه) عبادة عمانية وبراً وعقالا قصباً وشالا صوفاً حسب عادة الحكام وذلك غير النقود التي بذلوها لي عن طيب نفس .

العلم:

راية آل خليفة جميعها حمراء سوى أنهم يجعلون شريطاً أبيض مما يلي الحبل عند العمود فقط .

تقسيمات البحرين ونواحيها

كانت البحرين فى السابق تحتوى على (٣٦) بلدة وعلى (٣٣٢) قرية . ولكن لكثرة تداول الحكام عليها ووقوع الحروب بها وزوال الحضارة منها أزال عمرانها وخرب أكثر تلك المدن والقرى ولم يبق منها سوى ثمان مدن وبعض القرى التابعة لها (فالمدين هي) المحرق . والمنامة . والرفاع . وسترة وجد حفص . والبلاد القديم والبديع والحد .

(فأما المحرق) فهي جزيرة شرقى المنامة على مسافة نصف ساعة فى السفن الشراعية . وهي سكن الحكام الحاليين وأعيان العرب . وهي العاصمة . وكانت تسمى (رفيز) وهي مدينة قديمة قيل أن سبب تسميتها بالمحرق هو أن المجوس كانوا يحرقون أمواتهم فى ناحية منها لما كانوا مالكيها قبل الإسلام . وعدد نفوسها (٣٠) ألفاً .

وفى قصبة المحرق اليوم (٤٢) مسجداً . وجامعان أحدهما قرب قصر الحاكم الحالى . أسسه الشيخ محمد بن جمعان . ثم هجر زمناً طويلاً . ولما تولى القضاء الشيخ شرف اليمانى طلب من الحكام تجديد بنائه وإعادة جامعاً كما كان فصدر الأمر من سمو الحاكم الشيخ عيسى آل خليفة بذلك وصليت فيه الجمعة من سنة (١٣١٠ هـ) ولم تزل إلى اليوم .

والجامع الثانى أسسه الشيخ عبد الله بن أحمد آل خليفة المتولى على البحرين سنة (١٢٣٦) وهذا الجامع واقع غربى قصر ولى العهد سمو الشيخ حمد بن ذى العظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة :

وفى المحرق (مدرسة الهداية) المتقدم ذكرها وعدة مكاتب أهلية : وفى غربى المحرق دائرة للمكس البحرى تابع لمكس المنامة :

ويتبع المحرق خمس قريات:

القرية الأولى: حالة أبى ماهر:

والحالة فى اصطلاحهم كل قرية يحيط بها البحر كالجزيرة) وهى جنوب المحرق وكانت منفصلة عنها بترعة ثم فى سنة (١٣٣٠) دفنوا التربة وأوصلوا الأسواق والبيوت بهما. وفى جنوب الحالة (القلعة) التى بناها الشيخ عبد الله ابن أحمد كما سيأتى عند ذكر حكمه. وفى الجهة الشرقية الجنوبية عن القلعة ينبوع فى البحر يسمى (كوكب أبى ماهر) يعلوه البحر وقت المد بنحو ستة أذرع وشرب أهل الحالة وأهل المحرق منه بل غالب السفن تورده:

القرية الثانية: البسيتين:

وهى شمال المحرق على مسافة نصف ساعة للراجل. وبها (مسجد) بنيت فيه أخيراً منارة سنة (١٣٣٧ هـ).

وشرب أهلها من ينبوع فى البحر يسمى (الساية) وهى جهة الشمال الغربى عنها. وبين البسيتين والمحرق صحراء نقية يخرجون إليها كل سنة لصلاة العيدين بها تبعا للسنة (ويوجد) شمال هذا المصلى آثار قبور دائرة متجهة أصحابها نحو الشمال.

القرية الثالثة: الدير:

وهى شرقى البسيتين على مسافة نصف ساعة منه للراجل. وشرب أهله من ينبوع فى البحر. وعين فى البر تسمى (رية).

القرية الرابعة: سماهيج:

وهى شرقى الدير على مسافة ربع ساعة منه . وشرب أهلها من ينابيع فى البحر على الساحل وكانت سماهيج إحدى المدن العظام^(١) وغربها بستان يسمى (رية) باسم العين التى فيه وهو على الساحل . وقد أمر الحاكم سمو الشيخ عيسى بن على آل خليفة سنة (١٣٣٠) ببناء قصر فيه مشرف على البحر جعله منتزهاً له يسير إليه فى كل يومين مرة واحدة حينما يكن مقيماً فى العاصمة وهو يعد من منتزهات البحرين . وقد ذهبت إليه صحبة سمو الحاكم مع أنجاله فى ٣٠ محرم عام (١٣٤٠)

القرية الخامسة: قلالى:

وهى شرقى سماهيج على مسافة ثلث ساعة . وشربهم من ينبوع فى البحر يسمى (جرذى) .

(١) قال فيها أبو داود:

إذا أدبرت تقول قصور من سماهيج فوقها آطام

وقال فى القاموس سماهيج بالفتح اسم موضع بين عمان والبحرين فى البحر . وقال الأصمعى سماهيج جزيرة فى البحر تدعى بالفارسية (ماشى ماهى) فعربتها العرب وأنشد:

يا دار اسلمى بين دارات العوج جرت عليها كل ريح سيهورج
هوجاء جاءت من جبال يأجوج من عين يمين الخط أو سماهيج

أهـ مؤلف .

المدينة الثانية

الحد:

بالكسر وهى قصبة واقعة جنوب قرية قلالي على مسافة نصف ساعة للراجل . ويصير الحد شرقى المحرم مائلا إلى الجنوب وعدد نفوسه نحو (١٢) ألفاً وهو سكنى قبيلة السادة العلويين . وبعض من (آل ابن على) ومن عشيرة (أبى فلاسه) . وشرب أهله من عين فى البر تسمى (الزمة) ومن ينبوع فى البحر يسمى (أم السوالى) وهو جهة الشرق الجنوبى عن البلدة يغمره البحر وقت المد وينحسر عنه تماماً وقت الجزر . وفى الحد (١٣) مسجداً . وجامع كبير للجمعة . ويتبع الحد خمس قريات أيضاً :

الأولى: حالة السلطة:

وهى غربى الحد وبينهما جون من البحر والمسافة بينهما ثلث ساعة للخائض منه إليها وشربهم من عيون (عراد) الآتى ذكرها .

الثانية: حالة النعيم:

وهى حذاء حالة السلطة من جهة الغرب بينهما مسافة ثلاث دقائق . وشربهم من عيون عراد أيضاً .

الثالثة: عراد:

وهى غربى الحد إلى المحرق أقرب وبينهما جون من البحر . يمكن للدواب خوضه فى وقت الجزر للاستقاء من عيون عراد . وبها نخيل وآبار وعيون كثيرة . وبها القلعة التى بناها سعيد بن أحمد لما كان والياً من قبل أخيه حاكم (مسقط) السيد سلطان بن أحمد كما سيأتى عنه ذكر إمارته .

٤ و ٥: أم الشجر الكبرى. وأم الشجر الصغرى:

وربما عبروا عن الصغرى (بالعزل) وهما على مسافة ربع ساعة من الحد جهة الجنوب. وشرب أهلها من ينبوع (أم السوالى) المتقدم ذكره فتكون هاتان المدينتان مع قراهما جزيرة منفردة شرقى المنامة كما تقدم ربما عبروا عن مجموعهما (بالمحرق).

المدينة الثالثة

المنامة وهى واقعة على الطرف الشمالى الشرقى من الجزيرة وكانت تسمى (المنعمة) وقد اختلف فى سبب إطلاق اسم المنامة عليها. فمن قائل أنه تحريف للمنعمة. حرفها الأعاجم الذين تسيطروا عليها. ومن قائل أنه كان فيها قصر أحد ملوكها السابقين فسميت به. وهى اليوم الميناء العمومية ومرسى البواخر وسكنى أكثر التجار. ومركز معتمدى الدول. وبها دائرة البريد والبريقى والمكس البحرى وعدد سكانها نحو (٤٠) ألف شخص. وهى جيدة البناء ذات أسواق رائجة. سوى أن أرضها سبخة. وهى رديئة الهواء. وشمالها ميناء صعبة المرسى. وشرقيها ميناء هى أسلم للسفن من عواصف الرياح. والقرية المشرفة على الميناء الشرقية تسمى (الحورة). وكان فى سنة (١٣٣٠) صدر الأمر من عظمة الحاكم سمو الشيخ عيسى ابن آل خليفة ببناء مرفأ فى الميناء الشمالية ممتد إلى وسط البحر لتطابقه السفن المشحونة بسهولة. ولو كان البحر جازراً. وكذلك صدر أمره ببناء مستودع للبضائع عند المرفأ المذكور محتو على (حوش) كبير ومخزن عظيم لحفظ الأموال الواردة. فبنى وهو فى غاية الإتقان والضبط. ولا يزال دفن البحر مستمراً لتمديد المرفأ المذكور: وعدد المساجد فى المنامة (٢٢) مسجداً وجامعان أحدهما جهة القبلة (غربى البلدة) وهو المسمى اليوم (مسجد الشيوخ) والآخر جهة الشرق ويسمى

مسجد آل فاضل . وقد جدد بناءه وزاد فيه من جهة الشمال زيادة مهمة (صاحب الخيرات الحاج عبد العزيز بن لطف على الخونجي) سنة (١٣٤٠ هـ) وله إمامان الشيخ على والشيخ عبد اللطيف ابنا محمد آل سعد . وفق الله المسلمين لتعمير مساجدهم ومدارسهم بالعلوم العالية والفنون الراقية كما عمروها بالعبادة وزيادة: آمين .

والمنامة فيها سكنى غالب الملل والأصناف . وفي ظهرها من جهة الجنوب قلعة تسمى (قلعة الديوان) قيل أن الذي بناها هو نادر شاه (كما سيأتي عند إمارة آل مذكور) وهي مقيظ صاحب العظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة . وغربي هذه القلعة قصر عظيم ولى عهد سمو الشيخ حمد بن الشيخ عيسى سنة (١٣٢٢) للمقيظ . وشمالى هذا القصر وغربى القلعة . (مجلس) بناه سمو الشيخ خليفة بن سلمان حفيد الحاكم سنة (١٣٣٣) وأرخه يوسف ابن فلاح بقوله (خليفة نال العلى) .

وفى شرقى جنوب القلعة المذكورة على مسافة نصف ساعة للراجل موضع على الساحل يسمى (القضيبة) بالتصغير . وبها المحجر الصحى الذى أمر الحاكم سمو الشيخ عيسى ببنائه سنة (١٣٢٧ هـ) .

وجنوب القضيبة قرية تسمى (الجفير) بالتصغير وجرت عندها عدة وقعات كما سيأتى . وبها مسجد صغير .

ويسكنها اليوم صديقنا الشيخ سعد بن الشيخ عبد الله بن شمالان وقد أدب لنا مأدبة رائقة فيها سنة (١٣٤٠) .

وفى غربى المنامة قرية تسمى (السوفية) وعلى ساحلها الشمالى قصر أمر الحاكم سمو الشيخ عيسى ببنائه سنة . وسكنه اليوم زمن القيظ نجله سمو الشيخ محمد بن الشيخ عيسى آل خليفة .



سمو الشيخ ابن ذى العظمة الشيخ عيسى بن على آل خليفة

المدينة الرابعة

الرفاع - وهو على مسافة ساعة ونصف للراكب من المنامة جهة الجنوب الشرقى . وهو سكنى الأمراء السابقين من آل خليفة وبه القلعة التى بناها الشيخ سلمان بن أحمد آل خليفة على أساس من قلعة (فرير بن رحال) وزير الشيخ الجبرى الآتى ذكرهما عند إمارة الشيخ الجبرى .

وشرب أهله من أربعة آبار . ثلاثة . منها جهة الجنوب فى الروضة وهى من حفر الأقدمين . والرابعة جهة الشمال وتسمى (الحنينية) المشهورة بالعدوبة , والأمـر بحفرها الشيخ سلمان بن أحمد المذكور . وعمقها نحو ثمانية أبوع . وأوقف عليها نخلا لتعميرها ولإظهار الماء منها إلى بركة بحذائها . لتستقى منها النساء والفقراء .

وبين الرفاع والمنامة أرض واسعة الفضاء تسمى (المراقيب) وفيها المقبرة القديمة التى تقدم البحث عليها عند الآثار .

وغربى هذا الرفاع على مسافة نصف ساعة منه موضع يسمى (الرفاع القبلى) أسسه الشيخ على بن خليفة حاكم البحرين سابقا وبه البئر المسماة (أم غويقه) بالتصغير أم بحفره والد المذكور الشيخ خليفة بن سلمان وعمقه نحو (٢٤) باعاً وأوقف عليها نخلا لتعميره .

وغربى الرفاع القبلى على مسافة ربع ساعة موضع يسمى (رفاع الشيخ محمد) أسسه الشيخ أحمد الفاتح بن محمد بن خليفة ثم نزل حفيده الشيخ خليفة بن سلمان . وبني به مسجداً كانت تقام فيه الجمعة . وهو باق إلى اليوم . ثم نزل الشيخ محمد بن خليفة حاكم البحرين سابقاً . ثم فى سنة () نزل سمو الشيخ محمد ابن صاحب العظمة سمو الحاكم الشيخ عيسى بن

على وجدد بعض أبنائه وأسكن فيه بعض عائلته يرأسهم نجله سمو الشيخ راشد ابن الشيخ محمد. وفى سنة (١٣٤٠) أمر الشيخ راشد المذكور ببناء قصر له حذاء قصر والده. وأرخ بلفظ (جمع الجد والشرف الأثيل).

وهذه المواضع المتقدمة والتي ستجىء هى عبارة عن قرى صغار تسكن زمن الخريف.

وجنوب رفاع الشيخ محمد على مسافة ساعة للراكب موضع يسمى (الصخير) أسسه الشيخ محمد بن خليفة. ثم فى سنة (١٣١٨) نزل سمو الشيخ حمد بن ذى العظمة سمو الحاكم الشيخ عيسى بن على وبنى به قصوراً جميلة ومجالس رحبة لإقراء الضيوف وجدد القصر الذى بناه أخوه المرحوم الشيخ راشد بن الشيخ عيسى. ورمم المسجد الذى هناك وعين له إماماً راتباً. وهذا الصخير واقع فوق ربوة نقية بين جبال وآكام متسعة جداً. وعلى جانب الربوة من جهة الغرب إلى الجنوب رياض واسعة تجتمع فيها الأمطار والسيول فتنبت بها الأعشاب البرية. وتلك الرياض هى حمى لسمو الشيخ حمد ترعاها إبلة وخيله وأنعامه. وفيه ثلاث عيون للشرب إحداها تسمى (أم حصاة) وماؤها أعذب مياه البحرين وأطفه لبعده عن السواحل ثم يليه فى الخلاوة عين (أم الموميان) والثالثة تسمى (الجنوبية).

وبين تلك الرياض ميدان للسباق على الخيل والتمرين على الكر والفر. (وحقيقة) فإن الصخير وما والاها يعد قطعة من (الطائف) لحسنه وللطافة هوائه وعدوبة مائه ونقاء أرضه وخضرة رياضه وظرافة منظره. ووصلته سنة (١٣٣٢) بطلب من صاحب العظمة سمو الحاكم الشيخ عيسى بن على واستقمنا به ثلاثة أيام صحبة الحاكم على فراش نجله ولى العهد سمو الشيخ



سمو الشيخ محمد ابن ذى العظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة



سمو الشيخ راشد ابن المعظم
سمو الشيخ محمد ابن الشيخ عيسى آل خليفة.

حمد (ولم تخل) أرض الصخير من المعادن لاسيما النفط والقيروا الحص عند قرب (جبل الدخان) الذي تقدم ذكره فى الحالة الطبيعية .

وعلى مسافة ساعة من الصخير جهة الجنوب موضع يسمى (العمرى) بنى فيه ولى العهد سمو الشيخ حمد مجالس سنة (١٣٣٧) وكذلك بنى فيه أخوه سمو الشيخ عبد الله والشيخ سلمان بن الشيخ حمد وعلى مسافة ساعة من العمر وجهة الجنوب أيضاً موضع يسمى (المطلة) فقد بنى فيه سمو الشيخ حمد مجالس . وكذلك سمو الشيخ عبد الله أبناء صاحب العظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة . وكذا بنى فيه سمو الشيخ سلمان بن حمد حفيد الحاكم سمو الشيخ عيسى الجميع بنوا مجالسهم فى سنة (١٣٣٧ هـ)



سمو الشيخ حمد ابن ذى العظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة

المدينة الخامسة

سترة - وهى شبه جزيرة شرقى الرفاع على مسافة (٤٥) دقيقة وإذا
جزر البحر اتصلت به بشبه برزخ يعلوه ماء دقيق سمك ذراع فأقل . وبها
عيون كثيرة أكبرها (عين الرحى)، ثم عين مهزة) ويتبعها من القرى:

(١) القرية .

(٢) مهزة .

(٣) سفالة .

(٤) مرقبان .

(٥) واديان .

(٦) الخارجية .

(٧) المعامير .

(٨) العكر .

(٩) الفارسية .

(١٠) الحالات .

وهذه المدينة مع قراها مملوءة بالنخيل الباسقة والأشجار المثمرة . وهى
التي جرت بها الوقعات الشهيرة كما سيأتى:

المدينة السادسة

جد حفص - وهى غرب المنامة على مسافة نصف ساعة وبها عيون ونخيل كثير. وكانت هى إحدى المدن الكبار^(١) وشمال جد حفص قصر على الساحل فى موضع يسمى (بوزيله) أمر ببنائه سمو الشيخ عبد الله بن الشيخ عيسى آل خليفة سنة () هـ.

المدينة السابعة

البلاد القديم - بالتذكير وهى جنوب جد حفص على مسافة () ، وبها عيون كثيرة أشهرها (أبو زيدان . وجماله . وقصارى) وغربى البلاد القديم قرية تسمى (السهلة) فيها عين عجيبة شهيرة بالكبر تسمى (عذارى) عمقها خمسة أنواع وهى تسقى أكثر من ثلاثة أميال من النخل ثم تصب فى البحر منحدره كأنها السيل الهائج . وقد وصلتها وغصت فيها إلى قعرها وأبصرت منبعها فى الماء وهى أصفى عيون البحرين .

المدينة الثامنة

البديع بالتصغير . وهى غربى المنامة على مسافة ساعتين وبها سكنى قبيلة الدواسر ومن تبعهم فهذه هى المدن وما سواها فقرى صغار . وأكبرها قرية (جو) وهى على مسافة نصف ساعة للراكب من الرفاع جهة الشرق الجنوبي وهى مطلة على البحر .

وأول من نزلها من العرب الشيخ أحمد بن رزق الشهير فى القرن (١٢)

(١) حكى ابن الأعرابى قال جد بالضم اسم موضع قال وهو اسم ماء بالجزيرة أيضاً وأنشد:
فلوانها كانت لقاحى كثيرة لقد نهلت من ماء جد وعلت .

هـ) وعمرها وبني بها مساجد وبركاً عظام لخزن الماء في غاية القوة والإحكام. وقال صاحب (سبائك العسجد) سكن الشيخ أحمد بن رزق بلدة جو. وبني بها قصوراً شامخة إلى الجو.

ثم ظعن عنها ونزل. الزبارة وبعد ظعنه بقيت بلدة جو خالية من العرب إلى أن استولى الخليفيون على البحرين سنة (١١٩٧) كما سيأتي. ثم لما احتل سعود بن عبد العزيز أمير نجد (الإحساء والقطيف) سنة (١٢١٢) جعل يتحفز على أخذ الزبارة فظعن الشيخ أحمد بن رزق منها إلى البصرة في تلك السنة. ونقل الشيخ سلمان بن أحمد آل خليفة الفاتح عائلته جميعها من الزبارة وأسكنهم بلدة جو. ثم لما فرطت البحرين من آل خليفة واسترجعوها سنة (١٢٢٥) ترك الشيخ سلمان (جوا) وسكن (الرفاع) وبني به قلعة وجعله العاصمة كما سيأتي عند ذكر حكمه ثم بعد ذلك نزل (آل أبي رميح) بلدة جو. وهم باقون فيها إلى حال التاريخ.
